أشرعةُ البيان: انطباعات قبطان في محيط موسوعة معرفية

ث العراقي المقيم في لندن الدكتور نضير الخزرجي قد بدأت مع كتابه «نزهة القلم: قراءة نقدية في الموسوعة الحسينية» الصادر في بيروت عام 2010م، وقد شدّ َني فيه أسلوبه وطريقته في تقريب المشروع الموسوعي الكبير الذي أنجزه سماحة العلامة المحقق الشيخ محمد صادق الكرباسي، ولم أكن أعلم حينها أنّ َ "نزهة القلم" يمثل بداية سلسلة من القراءات التي خصصها المؤلف للتعريف بأجزاء الموسوعة الحسينية التي بلغ المطبوع منها (130) مجلداً حتى مطلع العام 2026م، ولكن ما وجدته فيه من متعة وفائدة جعلني أحتفظ بانطباع جميل عن المؤلف وعن هذا المشروع الكبير.

في أحد أيام شهر حزيران يونيو 2026م، وبينما كنت أتجول بين رفوف مكتبة المركز الحسيني للدراسات بلندن، وقع بصري على كتاب "أشرعة البيان: قراءة موضوعية في الموسوعة الحسينية"، فاستوقفني اسم الدكتور نضير الخزرجي، وعدت بذاكرتي إلى تجربتي السابقة مع "نزهة القلم"، حيث تناولت الكتاب بدافع الفضول، وما إن بدأت بتصفح صفحاته حتى أدركت أنني أمام امتداد لتلك الرحلة التي بدأت من قبل، وأنني سأتعرف من خلاله على جوانب أخرى من الموسوعة الحسينية التي وضع لبناتها سماحة العلامة المحقق الشيخ محمد صادق الكرباسي، ذلك الرجل الذي أفنى سنوات طويلة من عمره في خدمة تراث الإمام الحسين عليه السلام، حتى أصبحت الموسوعة الحسينية مشروعاً علمياً وحضارياً يبعث على الإعجاب والتقدير بلغت نحو ألف جزء.

شر إلى هذا الكتاب هو رغبتي في التعرف بصورة أوسع على هذه الموسوعة وصاحبها، خاصة بعدما وجدت أن المؤلف لا يكتفي بعرض المعلومات، بل يأخذ القارئ معه في جولة بين موضوعات متنوعة، فيشعرك وكأنّه يتنقلُ بين حدائق مختلفة، يجمع بينها حب الإمام الحسين عليه السلام، والبحث عن أبعاد نهضته الفكرية والإنسانية.

ومع التقدم في القراءة، لفت انتباهي هذا التنوع الكبير الذي تتميز به الموسوعة الحسينية، فلم أكن أتوقع أن أجد إلى جانب التاريخ والسيرة موضوعات تتعلق بالشعر والأدب والتفسير والتشريع والسياسة والعمارة والفنون وغيرها من المجالات. وقد زادني ذلك إعجاباً بالجهد الذي بذله سماحة الشيخ الكرباسي، إذ بدا لي أن هذا المشروع لم يكن مجرد جمع للمعلومات، بل ثمرة عمر طويل من البحث والمتابعة والسّبْر المشفوع بالصبر.

وكان للشعر الحسيني حضور واضح في عدد من الموضوعات التي تناولها الكتاب، وقد وجدت في ذلك جانباً جميلاً، لأنّ الشعر لم يكن بالنسبة إليّ مجرد كلمات موزونة أو قصائد رثاء، بل بدا لي أنه سجل حافظ لمشاعر الأمة وذاكرتها، وأن الشعراء الذين تناولتهم الموسوعة كانوا يعبرون عن ولائهم للإمام الحسين عليه السلام، ويحفظون للأجيال صوراً من القيم والمواقف التي حملتها ثورة كربلاء.

كما استوقفتني الأبواب المتعلقة بالسيرة الحسينية، إذ شعرت أنّ مؤلف الموسوعة ينظر إلى التاريخ بطريقة مختلفة، فلا يكتفي بسرد الوقائع، بل يحاول أن يربطها بحركة الإنسان والحياة، ويبين كيف تحولت نهضة الإمام الحسين عليه السلام إلى مدرسة خالدة في الإصلاح والحرية والكرامة.

ومن الأمور التي أثارت اهتمامي أيضاً ما تناولته الموسوعة من موضوعات تتعلق بالتفسير والتشريع

الإسلامي، لأنني وجدت فيها دليلاً على سعة أفق هذا المشروع، وأنه لا يقتصر على جانب دون آخر، بل يسعى إلى تقديم صورة متكاملة عن الفكر الإسلامي وعلاقته بالإنسان والحياة.

كما أنّ ما ورد حول العمارة الإسلامية والفنون ترك لدي انطباعاً جميلاً، لأنني لم أكن أتوقع أن تمتد الموسوعة إلى هذه المساحات، وهو ما جعلني أدرك أنّ القضية الحسينية ليست مجرد ذكرى تاريخية، وإنما حضور متواصل في ميادين متعددة من الثقافة والحضارة.

ولم تخلُ موضوعات "أشرعة البيان" من الحديث عن الجانب السياسي، حيث برزت نهضة الإمام الحسين عليه السلام بوصفها نموذجاً للإصلاح ومواجهة الظلم، وهي معانٍ ما زالت حاضرة في وجدان المسلمين والأحرار في كل زمان، كما أن ما نقله الكتاب من آراء وندوات ومؤتمرات تناولت الموسوعة الحسينية أظهر مدى الاهتمام الذي حظي به هذا المشروع العلمي، وما تركه من أثر في نفوس الباحثين والمفكرين.

وبعد الفراغ من قراءة «أشرعة البيان»، شعرت أنني خرجت بفائدة أكبر مما كنت أتوقع، وأن معرفتي بالموسوعة الحسينية أصبحت أوسع وأعمق، كما ازداد تقديري لسماحة العلامة المحقق الشيخ محمد صادق الكرباسي، الذي استطاع بإخلاصه وصبره أن يقدم عملاً سيبقى موضع تقدير عند كل من يطلع عليه، كما ازددت إعجاباً بالدكتور نضير الخزرجي، الذي كان له فضل تعريف كثير من القراء بهذا المشروع الكبير بأسلوب محبب وقريب من النفس.

وأحسب أن من أجمل ما خرجت به من هذه القراءة أن الحديث عن الإمام الحسين عليه السلام لا ينتهي، وأن كلما ظن الإنسان أنه بلغ نهاية الطريق، وجد أمامه آفاقاً جديدة تستحق التأمل والقراءة. ولذلك أغلقت الكتاب، ولكن بقيت في داخلي رغبة صادقة في مواصلة التعرف على هذا المشروع الموسوعي الكبير، الذي أشعر أنني كلما اقتربت منه، اكتشفت فيه أشياءً جديدة لم أكن أعرفها من قبل.

وما كتبته هنا ليس دراسةً ولا مراجعةً علمية، وإنما هو انطباعات قارئ وجد في هذا الكتاب متعةً وفائدةً، فأحب أن يشارك بها، عرفاناً بفضل أصحاب هذا المشروع المبارك. وأحسب أن من حق هذا الكتاب على قارئه أن يُنصح بقراءته، لما يقدمه من عرضٍ ميسرٍ وممتع، ولما يختصره من موضوعات الموسوعة الحسينية، فيفتح أمام القارئ آفاقاً واسعة للتعرف على هذا المشروع العلمي الكبير، ويدعوه إلى مواصلة القراءة والتأمل في كنوزه المتنوعة.

* صدر كتاب "أشرعة البيان" في بيروت عن بيت العلم للنابهين سنة 1433هـ (2012م) في 735 صفحة من

القطع الوزيري، ضمّ قراءات متنوعة لعشرين مجلداً من دائرة المعارف الحسينية.